سعد بن معاذ
أول قاض فى الإسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

سعد بن معاذ
أول قاض فى الإسلام

إن الجوانب التى على أساسها تُقَيَّم أقدار الرجال كثيرة العدد ، ومتشعبة المناحى والاتجاهات ؛ فمنها ما هو مادى يُخْلِد إلى الأرض بأثقاله الدنيوية ، ومنها ما هو روحى يسمو فوق الماديات ، بل يسبح فى عالم المثاليات . والناس فى نظرتهم للرجال يختلفون أيضاً ، فريق يقدر الناس على أساس الحسب والنسب ، أو طبقاً لما يملكون من مال وجاه وسلطان ، وفريق آخر يضرب بهذه الماديات عرض الحائط ، ويزن الناس بما يتمتعون به من فضائل ، وبما يظهر فى سلوكهم ومعاملاتهم من روح إنسانية ، وخلق ربانى ، وصفات تنم عن روح صافية لا تميل إلا مع داعى الحق ، ولا تسلك إلا الطرق المؤدية إلى خير الإنسانية ، ولا تؤيد إلا الأخيار ، ولا تناصر إلا من يجاهد فى سبيل الله ، ولا تدافع إلا عمن دعا إلى كلمة الحق ، وساعد الضعفاء والمساكين ، ولا تقف بشدة وصلابة إلا ضد الطغاة الظالمين .

ومن الملاحظ فى المجتمعات البشرية أنه لا يوجد شخص اجتمعت فيه الجوانب المادية بجانب المعانى الروحية التى تدفعه إلى اتخاذ المواقف الإنسانية ، وتحمله على تبنى دعاوى الحق والدفاع عنها . فإن من المألوف أن معظم من يتمتعون بكثرة المال وجاه السلطان ، لا توجد فى قلوبهم رحمة على ضعيف ، ولا ميل إلى نصرة مظلوم ، ولا اتجاه إلى اعتناق مبدأ من المبادئ المثالية والدفاع عنه ، إذ ليس عندهم الاستعداد لإنفاق مالِهم لنصرة المبادئ ، أو التنازل عن سلطانهم فى سبيل نصرة الحق . ولكن الصحابى سعد بن معاذ كان من القلائل الذين اجتمعت فيهم كل جوانب تقييم الإنسان فى المجتمعات الإنسانية ، سواء كانت مادية أو روحية ، فقد كان ﷺ ذا حسب ونسب ، فهو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل ، وأكرم بها من سلسلة نسب بين العرب . كذلك كان سيد قومه ، له من المال والجاه ما مكنه من التربع على عرش السيادة فى قومه دون منازع . أما ما تمتع به من الفضائل الإنسانية ، والصفات المثالية ، فقد ظهرت واضحة بعد أن بلغته دعوة الإسلام ، إذ سرعان ما دخل فى الإسلام . ثم ماذا ؟ فهل إيمانه فقط هو الذى رفع منزلته بين صحابة رسول الله ﷺ ، لا ! فقد آمن غيره

كثير ، ولكنهم كانوا دون منزلته . إن مما رفع منزلته بين المسلمين أن إيمانه كان سبباً فى إيمان جميع أفراد بنى عبد الأشهل ، إذ دخلوا جميعاً فى الإسلام ، فكانت دارهم أول دار من الأنصار يسلم جميع رجالها ونسائها ، فقد روى أن إسلام سعد بن معاذ كان على يد مصعب بن عمير ، وكان مصعب قد قدم المدينة يدعو الناس إلى الإسلام ويقرئهم القرآن بأمر رسول الله ﷺ ، فلما أسلم سعد لم يبق فى بنى عبد الأشهل أحد إلا أسلم يومئذ ، فكانت دار بنى عبد الأشهل أول دار تحول أفرادها جميعهم إلى الإسلام .

ولم يقف فضل سعد على الإسلام عند هذا الحد ، بل امتد بعمل آخر ، له آثاره البعيدة على الدعوة الإسلامية فى المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها ، ذلك أن سعد بن معاذ أخذ مصعب بن عمير وأبا أمامة أسعد بن زرارة إلى داره ، فكانا يدعوان الناس إلى الإسلام فى دار سعد ، أى أن سعداً حول داره بهذا العمل إلى مركز للدعوة إلى الله ، وهذا عمل لا يقوم به إلا من كانت له روح شفافة صافية ، تميل إلى حب الخير للناس ، وتضع كل ما تملك لخدمة هذا الهدف السامى الجليل .

وقد أهله اتجاهه هذا ، وتفانيه فى خدمة الإسلام والمسلمين لأن يأخذ مكاناً مرموقاً لدى رسول الله ﷺ ، فآخى بينه وبين سعد بن أبى وقاص ، وفى رواية آخى بينه وبين أبى عبيدة الجراح ، وسواء صحت هذه الرواية أو تلك ، فكلا الصحابيين الجليلين من كبار صحابة رسول الله ﷺ . فكون الرسول يؤاخى بينه وبين أحدهما لدليل على أن سعد بن معاذ كان يحتل مكاناً سامياً بين صحابة رسول الله ، وكان مقرباً إلى الرسول لما بذله من جهود فى سبيل نشر الإسلام . ولم يقتصر جهاد سعد بن معاذ فى سبيل الدعوة الإسلامية على العمل فى مجالات السلم ، بل تعداها إلى مجالات الجهاد بالسيف وبذل الروح والنفس فى سبيل نصرة الإسلام ، فقد اشترك فى معركة بدر ، ولم ينس المسلمون قولته الشهيرة قبيل المعركة ، إذ عندما استشار الرسول ﷺ أصحابه فى أمر القتال ، قام عدد من المهاجرين ، فتكلم ، فأحسن القول ، ثم أعاد النبى ﷺ قولته : " **أشيروا علىّ أيها القوم** " ، فقام سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله ! كأنك تريد الأنصار ، فقال : " **نعم** " ، فقال سعد : يارسول الله ! آمنا بك ، وصدقناك ، وأعطيناك العهود والمواثيق على السمع والطاعة ، فو الذى بعثك بالحق بشيراً ونذيراً ، لو أنك قد خضت

بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا عنك أحد ، فامض لما أمرك الله به ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك .

فهذا كلام لا يقوله إلا مؤمن صادق ، ورجل وهب كل ما يملك فى سبيل الله . وقد أثبتت الأحداث هذا ، فقد كان لواء الأوس يوم بدر مع سعد ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين ولى الناس ، وشهد الخندق وهو يستحسن الموت ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : " خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس ، فسمعت وئيد الأرض ورائى ، تعنى حس الأرض ، فالتفت ، فإذا أنا بسعد ابن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه ، فجلست إلى الأرض ، قالت : فمر سعد وهو يرتجز :

كَبِّث قليلاً يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلْ ** ما أَحْسَنَ الْمَوْتَ إذا حان الأجل

ولكنه أصيب بسهم فى هذه الغزوة ، فضرب له رسول الله ﷺ خيمة فى المسجد ، وعهد به إلى رفيدة ، وكانت تداوى الجرحى .

كذلك لا ينسى المسلمون حكمه فى بنى قريظة ، ذلك أنهم خانوا العهد مع رسول الله ﷺ بانضمامهم إلى قريش فى غزوة الخندق ، وبعد أن أرسل الله ريحاً على قريش أخافتهم فرجعوا خائبين إلى ديارهم ، ذهب جيش المسلمين بأمر رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة ليؤدبهم على خيانتهم ، فضرب عليهم الحصار ، ولما طال حصارهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يجلوا عنهم ، وأنهم ينزلون على حكمه فيهم ، فسألهم ، إن كانوا يرضون بحكم سعد بن معاذ – وكان حليفاً لهم فى الجاهلية – ، فرضوا به حَكَماً ، فأرسل رسول الله من جاء بسعد محمولاً على دابة ، لأنه كان جريحاً ، فقال له رسول الله : " **يا سعد ! إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك** " ،فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يُقْتَل رجالهم ، وتُسْبَى الذرارى والنساء ، وتُقَسَّم أموالهم على المسلمين . فقال له رسول الله : : **لقد حكمت فيهم حكم الله من فوق سبع سماوات** ."

ومما يدل على سمو مكانة سعد بن معاذ عند رسول الله ﷺ ما روى عن ابن عباس أنه لما تفجرت يَدُ سعد بالدم ، قام إليه رسول الله ، فاعتنقه والدم ينفح فى وجهه ولحيته ، وكلما تدفق الدم من جرح سعد ، كلما زاد الرسول منه قرباً ، حتى فاضت روحه إلى بارئها ، ﷺ .

لقد مات سعد بن معاذ بعد أن ضرب المثل الأعلى فى خدمة الإسلام والمسلمين ، فـــاهتز لموته جميع المسلمين ، كما اهتز العرش لموته ، فقد روى عن يزيد بن الأصم قوله : لما توفى سعد بن معاذ وحملت جنازته قال النبى ﷺ : " **لقد اهتز العرش لجنازة سعد بن معاذ** " .

فاللهم ارض عنه ، واهد المسلمين ، كى يقتفوا أثره ، فيعملوا على رفـــع كلمـــة الله ، والجهاد فى سبيل الإسلام ، كما فعل سعد بن معاذ والسابقون معه إلى الإسلام .

obeikandl.com